الشعر والحيـــاة[1]

في ربـــوعٍ ظـلالُهـا فتـانـهْ ... يبسُطُ السحـرُ فـوقهـا ألـوانـه
صـادحُ الـطيـرِ في رُبـاهـا تُغني ... وَشـدا لـلخَـمـيـلةِ الـفـيـنـانـه
وجـرى المـاءُ بـالحيـاةِ نمـاءً ... طـرَّز العُشبُ والنَّدى غـدرانـه
ونـسـيـمٌ مـؤرخٌ قـد تَـهـادى ... في مُجـونٍ يُـداعبُ السنـديـانـه
بينَ تلك الـرُّبا وهـذي المغـاني ... والـرؤى والمفـاتِنِ العَـريـانـه
قـد عرفتُ الـوجودَ طفـلاً بريئـاً ... حـظُّهُ منـهُ أنْ يمصَّ بـنـانـه
ورأيـتُ الـدُّنـا بعـيني صبـيٍ ... لمْ يكنْ بعـدُ حـامـلاً أَحـزانـه
يتبـعُ الـرفقـةَ الصغـارَ لِلَهـوٍ ... قـدْ أعـدُّوا في بيـدر مَيـدانـه
وَيَجـدُّونَ في اصـطيـادِ فـراشٍ ... طـافَ بالحقـلِ مُسـرعـاً طَيـرانـه
ولكَمْ عـربـدوا بـضَفَّـةِ نـهـرٍ ... وتحـدَّى سبَّـاحُهم خـلجـانـه
وعلى الشـاطىءِ المقـابـلِ راعٍ ... سـاقَ للعشبِ فـوقَـهُ قُـطعـانـه
وإذا ضمَّـهُ من الـتـوتِ ظـلٌّ ... داعَبَ النـايَ مُـرسِـلاً ألحـانـه
لستُ أنسى انطلاقهمْ في الليالي ... يـومَ أدنى السـرورُ منهم دِنـانـه
أزعجـوا النائمينَ بـالـدربِ لهـواً ... صـارخـاً شقَّ للفضـاءِ عَنـانـه
ويَـفـرُّونَ فـي قـرارٍ خـفـيٍ ... حينَ يـأتي الخفيـرُ بـالخيـزُرانـه
ذكـريـاتٌ تـلوحُ للعـينِ خـطاً ... مِنْ سنىً أَوهَن الأسى لمعَـانـه

---

(١) نشرت بعنوان «صور وذكريـات» في الديوان الذي طبع باسم الشاعر (ولعلها قيلت سنة ١٩٥٩. [المحقق].

أبعَدَ الدهرُ عهدَها وفؤادي ... لمْ يزلْ خالطاً بها خَفَقانه
ووعى الريفُ صورةً من حياتٍ ... برَّةٍ عشتُها، وسلْ رَمضانه
أمسياتٌ من الضياءِ وليلٌ ... رفَّ في جُنحِهِ الإخاءُ وزانَه
ساهرٌ عندهُ تجمَّعَ قومي ... حولَ شيخٍ مرتلٍ قُرآنه[1]
في خشوعٍ لا يسمعُ المرءُ منهمْ ... غيرَ همسٍ: سُبحانهُ سُبحانه
الشموعُ التي بأيدي صغارٍ ... أسعدتهمْ دُموعُها الهنَّانه
والأساطيرُ عن حُروبٍ رَواها ... شاعرٌ في النَدي أعلوا مكانه[2]
وطبولُ السحورِ في هدأةِ الليـ ... ـلِ بفطريٍّ جرسها رنانه
والتراويحُ تحتَ خفقِ شُعاعٍ ... لقناديلَ تشتكي الاستكانه
والتسابيحُ كلُّ مطلعِ فجرٍ ... قبلَ أنْ يُعلنَ الإمامُ أذانَه
ودبيبُ الشيوخِ نحو المصلّى ... أمَّلوا عندَ ربِّهمْ غُفرانهْ
صورةٌ تملأُ الغداةَ خيالي ... حينَ أطلقتُ للخيالِ عنانه

* . * . * . * . *

وتقضى الصبا ومرَّتْ ليالٍ ... حالياتٌ ببشرِها مُزدانه
سارَ بالصِّبيةِ الزمانُ ووالى ... بأَسَاهُ وَخيرِهِ دَورانهْ
فإذا الإنطلاقُ سجنُ كفاحٍ ... أحكمَ الدهرُ حولَهمْ قضبانه
أسلمتهمْ حياتهم لشبابٍ ... قد قضَوا في نضالِهم رَيعانه
من حينٍ في صوتِ ورقاءَ تشدو ... عرفوا الحبَّ واجتلوا تحنانه[3]
كلَّما جاءَهم ربيعٌ جديدٌ ... يشهدُ الزَّهرُ والهوى مَهرجانه
وعن الفجرِ حينَ يبدو كبيراً ... ناشراً من وضاءةٍ طيلسانه[4]

---

(١) الساهر : مكان السهر.
(٢) الندي : مكان اجتماع القوم للسمر أو مناقشة الأمور.
(٣) نشرت في الديوان السابق «واجتنوا» والأصل كما ورد هنا.
(٤) الطيلسان : الأعجمي ويقصد به البياض والضوء.

عَـرَفـوا لـذَّةَ أزدهـارِ الأمـاني ... في قلوبٍ لـنيـلهـا ظَـمـآنـه
وتجيشُ النفـوسُ بـالأمـلِ الـ ... ـحلو ليقضوا من الحياةِ لُبانه[1]
الأنينُ المكتومُ في صـدر كهـلٍ ... شَحَنَ الغـرامُ بـالقُـوى شـريـانَه
في سبيـلِ البقـاءِ يفنى ويَشقى ... مِنْ دمـوعٍ ومنْ دمٍ عيـدانـه
بـذراعٍ معـروقـةٍ أثـقـلتـهـا ... يدُ فـأسٍ يَـبُـثُّـهـا أَشَـجَـانـه
يـتـولـى زروَعـهُ كـصـغـار ... وأبٍ قـد أَذَابَ فيهـمْ حنـانـه
للثـرى عـاش ثُمَّ في ذاتِ يـوم ... سيـواري هـذا الثـرى جُثمـانـه

* . * . * . * . *

لـوحـةٌ لا تـزالُ تنبضُ بـالـرِّيـ ... ـفِ صـراعـاً وعـزةً وأَمَـانـه
تـدفـعُ المـرءَ للكفـاحِ مَـريـرا ... وتـقـوِّي بـنـفـسِـهِ إيـمـانـه
ولَـكمْ أَضْـرَمـتْ شعـورَ أديـبٍ ... عـاشَ فيهـا وأَلهبتْ وُجـدانـه
مـلأتْ صـدرهُ أحـاسيسُ شتَّى ... صَبغتْ بـالأسى العميقِ بَيـانـه
وسمعنـا القـريضَ من فَمِ شـادٍ ... أنـطَقتْ بـالجميـلِ منـهُ لسـانـه
فجرى كالسهـولِ صفواً أو كـالز ... رعِ نَمـاءً وكـالـطِّبـاعِ رَزانـه
لفـظُهُ في صلابـةِ الأرضِ نَسجاً ... والمعـاني في رَّقةِ الأُقحـوانـه[2]
أَيُّهـا الهـاتفـونَ بـالشعـرِ حُـراً ... ولَـكُـمْ دَعـوةٌ بِـهِ طَـنَّـانـه
قـد أتيتمْ لـه بنهـجٍ غـريبٍ ... يَعـرضُ اليـومَ بينَكمْ سُـلطانـه
وهـجـرُتـمْ تـوافِـهَ الـمـتـنبِّي ... وأبَـنتُـم بـعـلمكـمْ نُـقـصـانـه
وتـشـدَّقـتـمُ بـزُخـرفِ قـولٍ ... عَن مفـاهيمَ نَمَّقَتها الرَّطـانـة[3]
ثمَّ قُلتُـم منَ الـحيـاةِ كـلامـاً ... ومِنَ الـواقـعِ استَمـدَّ كيـانـه

---

(١) اللبانة : الحاجة .

(٢) الأقحـوان : البابونج وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر، والجمع أقاحي وأقاح .

(٣) الرَّطانـة : بفتح الراء وكسرها: الكلام بالأعجميـة.

ليسَ شعـراً وإنَّمـا هـو شيءٌ فـوقَه الشِّعـرُ رتبـةً ومَكـانـه
ذهبـتْ عـنـهُ روعـةٌ لِـلُحُـونٍ يـرهفُ الدهـرُ عنـدهـا آذانـهْ[1]
وخـلا مـنْ أصـالـةٍ وجـلالٍ بِهمـا أظهـرَ الـزمـانُ افتتـانـه
إنَّـه أبـصَـرَ الحيـاةَ سَقيمـاً حـامـلاً في يمـيـنِـهِ أكـانـه
أيعيشُ الـولـيـدُ والـداءُ يمشي بينَ جنبيـهِ نـاشـراً سُلطانـه
إنَّمـا الشعـرُ مـا تـدَّفقَ عَـذبـاً في بنـاءٍ فـأحكمـوا بُنيـانـه
أسمِعـونـا إذا اسْتَـطَعْتُم قَـريضـاً لا خيـالاتِ جالسٍ في حـانـه
فـإذا شـقَّت الـقيـودُ عـليـكـم فَـدعـوهُ لمنْ يصـوغُ جُمـانـه[2]
إنَّني مـا رأيت في الروض يـومـاً ما، غرابـاً مزاحمـاً كروانـه[3]

* . * . * . * . *

أَمِـنَ الـفـنِّ أَنْ يُـسـاق كـلامٌ سـاذجٌ بـاسمِ نهضـة شَيـطانـه؟
طالِعوا النورَ في تراثِ القُـدامى وانـظروا كيفَ أبـدعـوا تيجانـه
سجلوا الـواقـعَ الـمُـرَادَ ولكنْ جعلوا الفنَّ عـاليـاً تَـرجمانـه
رسمـوا صـورةَ الحيـاةِ لـديهم في جـلاءٍ بـريشـةٍ فنَّـانـه[4]
لا أنـادي بـأنْ تحـاكـوا زهْيـراً فيـهِ أو أن تقلِّدوا حسَّـانـه[5]
راحَ عهـدُ الوقـوفِ بالـطَّللِ البـا كي فـلا تَـذكـروا بـهِ سُكَّـانـه

---

(١) اللحـن الخطأ في الإعـراب.

(٢) الجمانـة : حبة تعمل من الفضة كالدرة.

(٣) الكروان : طائر ، قيل هو الحباري له صوت جميـل.

(٤) هذا البيت والأبيات الثلاثة التي سبقته لم أجدها في الأصل، وإنما وجدت سهماً في موضعها وكأنه يشير إلى وجود أبيات في موضعها ولا أدري أين وجدها ناشر الديوان الأستاذ حتـه.

(٥) زهير بن أبي سلمى من شعراء المعلقات في الجاهليـة: عرف بحكمه وعنايته الشديدة لشعره.
حسان بن ثابت : شاعر الرسول ـ ﷺ ـ من الأنصار، له شعـر في الجاهليـة والإسلام، عاش طويلاً.

جـدَّدوا مـا استعتُم في المعـاني وقِـفـوا لا تُـحـطِّمـوا أوزانـه
ليستِ الفكـرةُ الجديـدةُ تـأبى عُـرَضَهـا في جـزالـةٍ ورصـانـة
أَلْبِسـوهـا من القـوافي خُلوداً ومـن الـوزنِ قـوةً ومـتـانـه
لا تـحيـطوا تـراثـنـا بـلهـيـبٍ في غـدٍ تكـرهُ العيـونُ دخـانـه
كـل نهـجٍ أتى ليستـرَ عَجـزاً تتَّقـيـهِ وتـزدري بُـهـتـانـه
ربِّ إني على الـقـديمِ مُـقيـمٌ وأعـدُّ الخـلاصَ منـهُ خِيـانـه

* . * . * . *